"يا ساتر"

كلمة "يا ساتر" كلمة طالما قُلناها ونقولها كلّما خفْنا و"انخضّينا". أي نعم نقولها تلقائيًا ولا شعوريًا كأنها موجودة بفطرتنا وكياننا. وكلمة "سِتْر" لها معنى خاص عند عامة الناس، فالرجل يقول عن صهره: "هذا ساتر عرضي". وإذا تكلّم الرجل مع المرأة قال لها: "يا مستورة" وإذا تزوّجت الفتاة قيل: "أنّها انسترت". وإذا سألنا رجلًا عن حاله أجاب: "مستورين أو ساترها الله أو مستورة الحمد لله". كذلك عند دخولنا إلى بيت أحدهم فإننا نصرخ بأعلى صوتنا "يا ساتر"، لنعلن لأهل البيت عن وجودنا ليأخذوا حذرهم او استعدادهم لدخول شخص غريب إلى البيت.

كلّ ابن آدم خطّاء، وليس من أحد إلّا وله خطأ ولا يحب أن يطّلع عليه الناس، لذلك كان الستر على الناس خُلق وهَدي نبوي، فتزداد المحبّة وتحفظ الأخوة بينهم، فالمؤمن يستر وينصح، ولا يهتك ويفضح.

ونلاحظ هذه الأيام انتشار الفضائح والإشاعات على منصّات التواصل الاجتماعي، فكثيرًا ما نرى انتشار الأفلام والصور الذي يظهر فيها أحدهم بأوضاع مُشينة أو أخلاقيّة. ونرى الخبر

ينتشر كانتشار النار بالهشيم. كذلك نرى البعض يقوم بنشر مقطع لحادث طرق مروّع، يظهر به الضحيّة وهو يحتضر بينما يستلّ المارّة هواتفهم الخلويّة ويبدأون بالتقاط الصور أو تسجيل مقاطع "مُثيرة" ليقوموا بعرضها على الملأ ضاربين مشاعر الناس وخصوصيتهم عرض الحائط. ومن أغرب ما رأيت مؤخرًا "طوشة" بين زوجة وحماتها، مسجّلة على "الفيسبوك"، تتراشق فيها الاثنتان بأقذع وأسوأ الألفاظ النابية، والكلّ مسجَّل وعلى الملأ.

السؤال الذي يطرح نفسه وبقوّة: هل نحن شعب محب "للقيل والقال"؟ هل نرى بالإشاعة طريقة للتفريغ؟ هل نستمتع بأخبار الفضائح؟ الجواب هو نعم.

في مجتمعاتنا القديمة قصص شعبية ذات ملامح دينيّة ومغاز تربوية، ربّما كان المتقدمون يروونها على مسامع أبنائهم ليغرسوا بذور الشرف في نفوسهم، ومنها القصة التالية:

عاش في منتصف القرن الماضي شيخ بار اشتهر بحكمة وصواب مشورته.

وفي ذات يوم دخل "بلطجي" مشهور ومعه عصا غليظة وقال: "أسألك سؤالًا فقل لي! أنا قد قتلت عشرين قتيلًا فهل الجنّة مثواي أم النار"

فتريّث الشيخ قليلًا، ان قال "الجنة" كذب. وإن قال "النار" قُتِل. وأخيرًا قال: "الله رحمان رحيم، يعرف عباده ولا يعرف أحد مُراده" ولكن "من أراد أن يعرف مثواه في الآخرة عليه أن يغرس عصًا يابسة في تربة طرية، فإذا اخضرّت ونبتت كان مثواه الجنة، وإلّا فلا".

فأدار الرجل ظهره ومشى. وقادته قدماه إلى مقبرة حيث رأى شابًا يحفر قبرًا وينتشل منه جثة فتاة مدفونة لساعتها فيمزّق كفنها ويقول: "امتنعتْ عليّ حيّةً سأنال منك ميتةً".

فاحتدمت دماء الشهامة في عروق البلطجي وانتفض على الشاب بعصاه فصرعه، وستر جثة الفتاة بما تبقّى من كفنها وأعادها إلى القبر. ثم غرس عصاه في تربة القبر وجلس يستريح. والتفت إلى عصاه فإذا بها تَخْضرّ، وإذا بأوراق ندية تتفتح على جنباتها.

فقام ومشى وأخبر الشيخ بما حدث، فاغرورقت عينا الشيخ وقال: "من ستر أعراض الناس ستر الله ذنوبه".

المجتمع مطالب بالتّصدّي لمروّجي الفاحشة حتى لا ينتشر الفسق في المجتمع، لأن شيوع هذه الأمراض وانتشار هذه الأوبئة في جسد الأمة. وعدم انكارها ومحاربتها نذير بانهيار المجتمع وهذا ليس معناه أن نكون سلبيين وأن نقف مكتوفي الأيدي أمام مرتكبي الأخطاء. ولكن يجب أن

ننصحهم بالحكمة والموعظة. فالستر لا ينافي النُصح بل يتطلبه. فإن لم تُؤتِ النصيحة ثمرتها وكان الستر عليهم سببًا في ازدياد جرائمهم وجب رفع أمرهم أمام القانون لأن السكوت عليهم يزيدهم تبجّحًا وافسادًا.

هل يمكننا أن ننهي حديثنا بدون طرفةٍ؟!

من العُقوبات المعروفة ما يُسمى: الجرسة والتطويف.

وكلمة "جرسة" مشتقّة من كلمة "جرس"، فيوضع المحكوم في إحدى الساحات، ويأخذ أحد الرجال بيده جرسًا يقرعه باستمرار وينادي بأعلى صوته: "فُلانة أو فُلان فعل كذا..." هكذا يتم تجريس المجرمين.

أمّا التطويف، **فيُحكى أنّ أعرابيًا قدم إلى المدينة لأول مرّة، وأخذ يطوف في شوارعها مشدوهًا بكثرة غرائبها. ورأي فيما رأي مطعمًا والناس يدخلون ويخرجون، فظنّه ضافة لأحد زعماء المدينة حيث تكون الضيافة لوجه الله، فدخل وأكل ما طاب له أن يأكل، ولا سيّما "المحاشي" التي قلّما يحظى بمثلها في مضارب عشيرته.**

وعندما همّ بالخروج طالبه صاحب المطعم بثمن الطعام، فاستهجن الأمر ولم يفهم كيف يكون ذلك، وإذ لم يكن معه أية نقود تسلّمه رجال الشرطة وأخذوه إلى القاضي الذي حكم بتطويفه وجيء بحمار عارٍ أركبوه عليه بالمقلوب وأمروه أن يمسك ذنب الحمار، واستحضروا طبّالًا يطبّل أمامه وراحوا يطوّفونه في شوارع المدينة، فظنّهم يقومون بتكريمه على طريقة مدينتهم.

وحدث أنّ أعرابيًا آخر مرّ فرأى زميله على ظهر الحمار وعرفه، فناداه: "ما هذا"؟ فقال: "اكل محاشٍ، وركب جحاش، ودق يا طبّال دق!".

دمتم بكل الخير
أ.أيمن جبارة